

قصيدة البردة للإمام البوصيري

مولاي صلي وسلم دائماً أبدا
على حبيبك خير الخلق كلهم

أمن تذكر جيران بني سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلّة بدم

أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إضم

فما لعينيك إن قلت اكفاهمتنا
وما لقلبك إن قلت استفق بهم

أحسب الصب أن الحب منكتم
ما بين منسجم منه ومضطرم

لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل
ولا أرقى لذكر البان والعلم

فكيف تنكر حباً بعد ما شهدت
به عليك عدول الدمع والسقم

وأثبت الوجد خطي عبرة وضني
مثل البهار على خديك والعنم

نعم سرى طيف من أهوى فأرقتني
والحب يعترض اللذات بالألم

يا لائمي في الهوى العذري معذرة
مني إليك ولو أنصفت لم تلم

عدتك حالي لا سري بمسـتـتر
عن الوشاة ولا دائي بمنحسـم

محضتني النصح لكن لست أسمعهُ
إن المحب عن العذال في صمم

إنى اتهمت نصيح الشيب في عذلي
والشيب أبعد في نصح عن التهتم

في التحذير من هوى النفس

فإن أمارتي بالسوء ما أتعظمت
من جهلها بنذير الشيب والهـرم

ولا أعدت من الفعل الجميل قرى
ضيف ألم برأسي غير محتشم

لو كنت أعلم أني ما أوقره
كتمت سرّاً بدا لي منه بالكتّم

من لي برّ جراح من غوايتها
كما يردُّ جراح الخيل بالأجّم

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها
إن الطعام يقوي شهوة النّهّم

والنفس كالطفل إن تهملهُ شبَّ على
حب الرضاع وإن تطفمهُ ينفطم

فأصرف هواها وحاذر أن توليـه
إن الهوى ما تولى يصم أو يصم

وراعها وهي في الأعمال سائمة
وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

كم حسنت لذة للمرء قاتلة
من حيث لم يدر أن السم في الدسم

واخش الدسائس من جوع ومن شبع
فرب مخرصة شر من التخـم

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت
من المحارم والزم حمية النـدم

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصح فأنهم

ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً
فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

أستغفر الله من قولٍ بلا عملٍ
لقد نسبتُ به نسلًا لذي عُقْم

أمرُك الخير لكن ما ائتمرت به
وما استنقمت فما قولى لك استنقم

ولا تزودت قبل الموت ناقلاً
ولم أصل سوى فرض ولم اصم

في مدح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى
أن اشتكت قدماه الضر من ورم

وشدَّ من سغب أحشاءه وطوى
تحت الحجارة كشحاً مترف الأدم

وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فأراها أيما شمم

وأكدت زهده فيها ضرورتها
إن الضرورة لا تعدو على العضم

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من
لولاها لم تخرج الدنيا من العدم

محمد سيد الكونين والتقليد
ن والفريقين من عرب ومن عجم

نبينا الأمرُ الناهي فلا أحـ^د
أبر في قول لا منه ولا نـ^م

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته
لكل هولٍ من الأهوال مقتـ^م

دعا إلى الله فالمستسكون به
مستمسكون بحبلٍ غير منفصـ^م

فاق النبيين في خلقٍ وفي خُلقٍ
ولم يدانوه في علمٍ ولا كـ^{رم}

وكلهم من رسول الله ملتَمِسٌ^{٢٤}
غرفاً من البحر أو رشفاً من الدير

وواقفون لديه عند حدهم
من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

فهو الذي تَمَّ معناه وصورته
ثم اصطفاه حبيباً بارئاً النسَم

منزلةً^{٢٤} عن شريكٍ في محاسنه
فجوهر الحسن فيه غير منقسم

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكماً

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له
حدٌ فيعرب عنه ناطقٌ^{٢٤} بفهم

لو ناسبت قدره آياته عظماً
أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

لم يمتحننا بما تعيا العقول به
حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهـم

أعيا الوري فهم معناه فليس يـرى
في القرب والبعد فيه غير منفـم

كالشمس تظهر للعينين من بُعدٍ
صغيرةً وتكل الطرف من أمـم

وكيف يدرك في الدنيا حقيقة
قومٌ نيامٌ تسلوا عنه بالحـم

فمبلغ العلم فيه أنه بشـ^ر
وأنه خير خلق الله كله

وكل أي أتى الرسل الكرام بها
فإنما اتصلت من نوره بهـ

فإنه شمس فضلٍ هم كواكبها
يظهرون أنوارها للناس في الظلم

أكرم بخلق نبيّ زانه خـ^ق
بالحسن مشتمل بالبشر منسـ

كالزهر في ترفٍ والبدر في شرفٍ
والبحر في كرمٍ والدهر في همم

كانه وهو فردٌ من جالاته
في عسكر حين تلقاه وفي حشم

كأنما اللؤلؤ المكنون في صدفٍ
من معدني منطلق منه ومبتسم

لا طيب يعدل ثرياً ضم أعظمه
طوبى لمنتشق منه وملتئم

في مولده عليه الصلاة والسلام

أبان موالده عن طيب عنصـره
يا طيب مبتدأ منه ومختتم

يوم تفرس فيه الفرس أنهـم
قد أنذروا بحلول البؤس والنقم

وبات إيوان كسرى وهو منصـع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

والنار خامدة الأنفاس من أسفـ
عليه والنهر ساهي العين من سدم

وساءَ ساوةَ أن غاضت بحيرتها
ورُدَ واردها بالغیظ حین ظمى

كأن بالنار ما بالماء من بـلـل
حزناً وبالماء ما بالنار من ضرر

والجن تهتف والأنوار ساطعة
والحق يظهر من معنى ومن كلم

عموا وصموا فإعلان البشائر لم
تسمع وبارقة الإنذار لم تُشم

من بعد ما أخبره الأقسام كاهنهم
بأن دينهم المعوج لم يقم

وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب
منقضة وفق ما في الأرض من صنم

حتى غدا عن طريق الوحي منهزم
من الشياطين يقفوا إثر منهزم

كانهم هرباً أبطال أبرهنة
أو عسكرٌ بالحصى من راحتيه رمى

نبدأ به بعد تسبيح بيطنهم
نبدأ المسبِّح من أحشاء ملأه

في معجزاته صلى الله عليه وسلم

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة
تمشى إليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطرأ لما كتبت
فروعها من بديع الخط في اللقم

مثل الغمامة أنى سار سائرة
تقيه حر وطيس للهجير حرم

أقسمت بالقمر المنشق إن لله
من قلبه نسبة مبرورة القسم

وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرفٍ من الكفار عنه عم

فالصدِّقُ في الغار والصدِّيقُ لم ير ما
وهم يقولون ما بالغار من أرم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عالٍ من الأطم

ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به
إلا ونلت جواراً منه لم يضم

ولا التمسست غنى الدارين من يده
إلا استلمت الندى من خير مستلم

لا تنكر الوحي من رؤياه إن له
قلباً إذا نامت العينان لم ينم

وذاك حين بلوغ من نبوته
فليس ينكر فيه حال محتلم

تبارك الله ما وحي^{٢٤} بمكتسب
ولا نبي^{٢٥} على غيب^{٢٦} بمتهتم

كم أبرأت وصباً باللمس راحت
وأطلقت أرباً من ربة اللمم

وأحييت السنة الشهباء دعوته
حتى حكّت غرة في الأعصر الدهم

بعارضِ جادٍ أو خلت البطاح بها
سبيبٌ من اليم أو سيلٌ من العرم

في شرف القرآن ومدحه

دعني ووصفي آيات له ظهرت
ظهور نار القرى ليلاً على علم

فالدُّرُّ يزداد حسناً وهو منتظمٌ
وليس ينقص قدراً غير منتظم

فما تطاول آمال المديح إلى
ما فيه من كرم الأخلاق والشيم

آيات حق من الرحمن محدثه
قديمة صفة الموصوف بالقدم

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا
عن المعاد وعن عادٍ وعن إرم

دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين إذ جاءت ولم تدم

محكمات^{٢٩} فما تبقيين من شبيهه
لذي شقاق وما تبغين من حكم

ما حوربت قط إلا عاد من حَرَبٍ
أعدى الأعدى إليها ملقي السلم

رَدَّتْ بِلاغتها دعوى معارضتها
رَدُّ الغيور يد الجاني عن الحرم

لها معانٍ كموج البحر في مددٍ
وفوق جوهره في الحسن والقيم

فما تعدُّ ولا تحصى عجائبها
ولا تسام على الإكثار بالسأم

قَرَّتْ بِهَا عَيْنَ قَارِيهَا فَقَلَّتْ لِيهِ
لَقَدْ ظَفَرَتْ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاَعْتَصَمَ

إِنْ تَنَلَهَا خَيْفَةٌ مِنْ حَرِّ نَارِ لُظْيِ
أَطْفَاتِ حَرِّ لُظْيِ مِنْ وَرْدِهَا الشَّم

كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيِضُ الْوَجْوهَ بِهِ
مِنَ الْعَصَاةِ وَقَدْ جَاؤُوه كَالْحَمَمِ

وَكَالصِرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةٌ
فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمْ

لا تعجبين لحسودٍ راح ينكرها
تجاهلاً وهو عين الحاذق الفهم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

في إسرائئه ومعراجہ صلى الله عليه وسلم

يا خير من يمم العاقون سـاحته
سعيًا وفوق متون الأينق الرسم

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر
ومن هو النعمة العظمى لمغتـم

سريت من حرم ليلاً إلى حرم
كما سرى البدر في داج من الظلم

وبت ترقى إلى أن نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

وقدمتك جميع الأنبياء بهـ
والرسل تقديم مخدم على خدم

وأنت تخترق السبع الطباق بهـ
في مركب كنت فيه صاحب العلم

حتى إذا لم تدع شأواً لمســــــــــــــــتبق
من الدنوِّ ولا مرقى لمســــــــــــــــتتم

خفضت كل مقامٍ بالإضافة إذ
نوديت بالرفع مثل المفردِ العلم

كيما تفوز بوصلٍ أي مســــــــــــــــتتر
عن العيون وسرٍ أي مكنــــــــــــــــتم

فحزت كل فخارٍ غير مشــــــــــــــــتراك
وجزت كل مقامٍ غير مزدحم

وجل مقدار ما وليت من رتب
وعز إدراك ما أوليت من نعم

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا
من العناية ركناً غير منهم

لما دعا الله داعينا لطاعته
بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم

راعت قلوب العدا أنباء بعثته
كناية أجفأت غفلا من الغنم

ما زال يلقاهم في كل معتـرك
حتى حكوا بالقنا لحماً على وضم

ودوا الفرار فكادوا يغبطون به
أشلاء شالت مع العقبان والرخم

تمضي الليالي ولا يدرون عدتها
ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم

كأنما الدين ضيفٌ حل ساحتهم
بكل قرمٍ إلى لحم العدا قرم

يجر بحر خميسٍ فوق سباحةٍ
يرمى بموجٍ من الأبطال ملتطم

من كل منتدبٍ لله محتسبٍ
يسطو بمستأصلٍ للكفر مصطلم

حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم
من بعد غربتها موصولة الرحم

مكفولة أبدأ منهم بخير أب
وخير بعل فلم تيتيم ولم تتأم

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم
ماذا رأى منهم في كل مصطدم

وسل حنيئاً وسل بدرأ وسل أحداً
فصول حتفٍ لهم أدهى من الوخم

المصدري البيض حمراً بعد ما وردت
من العدا كل مسودٍ من اللمم

والكاتبين بسم الخط ما تركت
أقلامهم حرف جسم غير منعجم

شاكى السلاح لهم سيما تميز هم
والورد يمتاز بالسيما عن السلم

تهدى إليك رياح النصر نشر هم
فتحسب الزهر في الأكمام كل كم

كانهم في ظهور الخيل نبت رباً
من شدة الحزم لا من شدة الحزم

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا
فما تفرق بين البهْم والبهْمُ

ومن تكن برسول الله نصـرته
إن تلقه الأسد في آجامها تجـم

ولن ترى من ولي غير منتصـر
به ولا من عدو غير منقصـم

أحل أمته في حرز ملتـمه
كالبيت حل مع الأشبال في أجـم

كم جدلت كلمات الله من جدلٍ
فيه وكم خصم البرهان من خصم

كفاك بالعلم في الأميِّ معجزة
في الجاهلية والتأديب في اليتيم

في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم

خدمته بمديح استقبل به
ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم

إذ قلداني ما تخشي عواقبه
كأنني بهما هدي من النعم

أطعت غي الصبا في الحالتين وما
حصلت إلا على الآثام والنـدم

فياخسارة نفس في تجارتها
لم تشتتر الدين بالدنيا ولم تسـم

ومن يبيع أجلاً منه بعاجلاً هـ
يـين له الغـبن في بيع وفي سـلم

إن آت ذنباً فما عهدي بمنـتقـض
من النبي ولا حبلي بمنـصـرم

فإن لي ذمّة منه بتسليمي
محمدأ وهو أوفى الخلق بالذمم

إن لم يكن في معادي أخذاً بيدي
فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه
أو يرجع الجار منه غير محترم

ومنذ ألزمت أفكارني مدائحـه
وجدته لخلاصي خير ملتزم

ولن يفوت الغنى منه يداً تربيت
إن الحيا ينبت الأزهار في الأكرم

ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت
يدا زهير بما أثنى على هـرم

في المناجاة وعرض الحاجات

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي
إذا الكريم تحلى باسم منتقم

فإن من جودك الدنيا وضررتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت
إن الكبائر في الغفران كاللحم

لعل رحمة ربي حين يقسمها
تأتي على حسب العصيان في القسم

يارب واجعل رجائي غير منعكس
لديك واجعل حسابي غير منخرم

والطف بعبدك في الدارين إن له
صبراً متى تدعه الأهوال ينهزم

وإذن لسحب صلاةٍ منك دائمةٍ
على النبي بمنهلٍ ومنسجم

ما رنحت عذبات البان ريح صبا
وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

ثم الرضا عن أبي بكرٍ وعن عمرٍ
وعن عليٍ وعن عثمان ذي الكرم

وَالْأَلَّ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ فَهَم
أَهْلُ التَّقَى وَالنَّقَا وَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ

يَا رَبِّ بِالْمُصْطَفَى بَلِّغْ مَقَاصِدَنَا
وَاعْفِرْ لَنَا مَا مَضَى يَا وَاسِعَ الْكَرَمِ

وَاعْفِرْ إِلَهِي لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ بِمَا
يَتْلُوهُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَفِي الْحَرَمِ

بِجَاهِ مَنْ بَيْتُهُ فِي طَيْبَةِ حَرَمٍ
وَاسْمُهُ قَسَمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْقَسَمِ

وهذه بُرْدَةُ الْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمَتْ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي بَدءٍ وَفِي خْتَمٍ

أَبْيَاتِهَا قَدْ أَنْتِ سِتِينَ مَعَ مَائَةٍ
فَرَّجَ بِهَا كَرِيمُنَا يَا وَاسِعَ الْكَرِيمِ